الصباح الإسلامية
09
العدد 2686 - السنة التاسعة
الإثنين 9 جمادى الأولى 1438 - الموافق 6 فبراير 2017
Monday 6 February 2017 - No.2686 - 9th Year

كان ممن يبر الله تعالى قسمهم

البراء بن مالك .. صحابي جليل ومقاتل شرس يبحث عن الشهادة بكل سبيل

قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم «كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو اقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك»، وقال عنه ابن الجوزي «كان شجاعا قتل مئة مبارزة»، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين فانه مهلكة يقدم بهم».

وقال محمد بن سيرين: لقد وصل المسلمون إلى حصن قد اغلق بابه فيه رجال من المشركين فجلس البراء بن مالك على ترس وقال ارفعوني برماحكم فالقوني إليهم ففعلوا فاقتحموه وقتل منهم عشرة انه البراء بن مالك اخو انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهو ثاني اخوين عاشا في الله، وأعطيا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا نما وازهر مع الأيام.

اما اولهما فهو انس بن مالك خادم رسول الله عليه السلام اخذته أمه أم سليم الى الرسول وعمره يوم ذاك عشر سنين وقالت: «يا رسول الله.. هذا انس غلامك يخدمك، فادع الله له»، فقبّله رسول الله بين عينيه ودعا له دعوة ظلت تحدو عمره الطويل نحو الخير والبركة.. فدعا له الرسول فقال: «اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له، وادخله الجنة».

فعاش تسعا وتسعين سنة، ورزق من البنين والحفدة كثيرين، كما أعطاه الله فيما أعطاه من رزق، بستانا رحبا ممرعا، كان يحمل الفاكهة في العام مرتين!

وثاني الأخوين، هو البراء بن مالك عاش حياته العظيمة المقدامة، وشعاره: «الله، والجنة»، ومن كان براء، وهو يقاتل في سبيل الله، كان يرى عجبا يفوق العجب.. فلم يكن البراء حين يجاهد المشركين بسيفه ممن يبحثون عن النصر، وان يكن النصر آتتْهُ اجلّ غاية.. انما كان يبحث عن الشهادة..كانت كل امانيه، أن يموت شهيدا، ويقضي نحبه فوق ارض معركة مجيدة من معارك الاسلام والحق.. من أجل هذا، لم يتخلف عن مشهد ولا غزوة.. وذات يوم ذهب اخوانه يعودونه، فقرأ وجوههم ثم قال: «لعلكم ترهبون أن أموت على فراشي لا والله، لن يحرمني ربي الشهادة»..! ولقد صدق الله ظنه فيه، فلم يمت البراء على فراشه، بل مات شهيدا في معركة من اروع معارك الاسلام، ولقد كانت بطولة البراء يوم اليمامة خليقة به.. خليقة بالبطل الذي كان عمر بن الخطاب يوصي ألا يكون قائدا أبدا، لأن جسارته واقدامه، وبحثه عن الموت.. كل هذا يجعل قيادته لغيره من المقاتلين مخاطرة تشبه الهلاك!

وقف البراء يوم اليمامة وجيوش الاسلام تحت امرة خالد تنهيأ للنزال، وقف يتلمظ مستبطئا تلك اللحظات التي تمرّ كأنها السنين، قبل أن يصدر القائد أمره بالزحف، وعيناه الثاقبتان تتحركان في سرعة ونفاذ فوق أرض المعركة كلها، كأنهما تبحثان عن أصلح مكان لمصرع البطل، أجل فما كان يشغله في دنياه كلها غير هذه الغاية حصاد كثير يتساقط من المشركين دعاة الظلام والباطل بحدّ سيفه الماحق..

ثم ضربة توانيه في نهاية المعركة من يد مشركة، يميل على اثرها جسده الى الأرض، على حين تأخذ روحه طريقها الى الملأ الأعلى في عرس الشهداء، وأعياد المباركين!

ونادى خالد: الله أكبر، فانطلقت الصفوف المرصوصة الى مقاديرها، وانطلق معها عاشق الموت البراء بن مالك، وراح يجندل اتباع مسيلمة الكذاب بسيفه.. وهم يتساقطون كأوراق الخريف تحت وميض بأسه.

لم يكن جيش مسيلمة هزيلا، ولا قليلا.. بل كان أخطر جيوش الردة جميعا.. وكان بأعداده، وعتاده، واستماتة مقاتليه، خطرا يفوق كل خطر.. ولقد أجابوا على هجوم المسلمين بشيء من الجزع. وانطلق زعماؤهم وخطباؤهم يلقون من فوق صهوات جيادهم كلمات التثبيت. ويذكرون بوعد الله.. وكان البراء بن مالك جميل الصوت عاليه..

وناداه القائد خالد تكلم يا براء.. فصاح البراء بكلمات تناهت في الجزالة، والدّلالة، القوة.. تلك هي: «يا أهل المدينة.. لا مدينة لكم اليوم.. انما هو الله والجنة» كلمات تدل على روح قائلها وتنبئ بخصاله.

أجل.. انما هو الله، والجنة..! وفي هذا الموطن، ينبغي ألا تدور الخواطر حول شيء آخر، حتى المدينة، عاصمة الاسلام، والبلد الذي خلفوا فيه ديارهم ونساءهم وأولادهم. ينبغي ألا يفكروا فيها، لأنهم اذا هزموا اليوم، فلن تكون هناك مدينة.. وسرت كلمات البراء مثل.. مثل ماذا..؟

ان اي تشبيه سيكون ظلما لحقيقة اثرها وتأثيرها..

فلنقل: سرت كلمات البراء وكفى..ومضى وقت وجيز عادت بعده المعركة الى نهجها الأول.. المسلمون يتقدمون، يسبقهم نصر مؤزر.

والمشركون يتساقطون في حضيض هزيمة منكرة..

والبراء هناك مع اخوانه يسيرون راية محمد صلى الله عليه وسلم الى موعدها العظيم..

واندفع المشركون الى وراء هاربين، واحتموا بحديقة كبيرة دخلوها ولاذوا بها..وبردت المعركة في دماء المسلمين، وبدا أن في الامان تغير مصيرها بهذه الحيلة التي لجأ اليها اتباع مسيلمة وجيشه، وهنا علا البراء ربوة عالية وصاح: «يا معشر المسلمين، احملوني والقوني عليهم في الحديقة، الم اقل لكم انه لا يبحث عن النصر بل عن الشهادة!

ولقد تصوّر في هذه الخطة خير ختام لحياته، وخير صورة لمماته، فهو حين يقذف به الى الحديقة، يفتح المسلمين بابها، وفي نفس الوقت كذلك تكون ابواب الجنة تأخذ زينتها وتتفتح لاستقبال عرس جديد ومجيد!

ولم ينتظر البراء أن يحمله قومه ويقذفوا به، فاعتلى هو الجدار، والقى بنفسه داخل الحديقة وفتح الباب، واقتحمته جيوش الاسلام.

ولكن حلم البراء لم يتحقق، فلا سيوف المشركين اغتالته، ولا هو لقي المصرع الذي كان يمني به نفسه.. وصدق أبوبكر رضي الله عنه: «احرص على الموت توهب لك الحياة»!

صحيح أن جسد البطل تلقى يومئذ من سيوف المشركين بضعا وثمانين ضربة، أخذته ببضع وثمانين جرحا، حتى لقد ظل بعد المعركة شهرا كاملا، يشرف خالد بن الوليد نفسه على تمريضه، ولكن كل هذا الذي اصابه كان دون غايته وما يتمنى.

بيد أن ذلك لا يحمل البراء على اليأس.. فغدا تجيء معركة، ومعركة، ومعركة.. ولقد تنبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه مستجاب الدعوة.. فليس عليه الا ان يدعو ربه دائما ان يرزقه الشهادة، ثم عليه الا يعجل، فلكل أجل كتاب، ويبرأ البراء من جراحات يوم اليمامة.

وينطلق مع جيوش الاسلام التي ذهبت تشيّع قوى الظلام الى مصارعها.. هناك حيث تقوم امبراطوريتان خربتان فانيتان، الروم والفرس، تحتلان بجيوشهما الباغية بلاد الله، وتستعبدان عباده، ويضرب البراء بسيفه، ومكان كل ضربة يقوم جدار شاهق في بناء العالم الجديد الذي ينمو تحت راية الاسلام نموّا سريعا كالنهار المشرق.

وفي احدى حروب العراق لجأ الفرس في قتالهم الى كل وحشية دنيئة يستطيعونها..فاستعملوا كلاليب مثبتة في أطراف سلاسل محماة بالنار، يلقونها من حصونهم، فتخطف من تناله من المسلمين الذين لا يستطيعون منها فكاكا.

وكان البراء وأخوه العظيم انس بن مالك قد وكل اليهما مع جماعة من المسلمين أمر واحد من تلك الحصون.

ولكن أحد هذه الكلاليب سقط فجأة، فتعلق بانس ولم يستطع انس أن يفادي السلسلة ليخلص نفسه، اذ كانت تتوهج لهبا ونارا.

وأبصر البراء المشهد فاسرع نحو اخيه الذي كانت السلسلة المحماة تصعد به على سطح جدار الحصن وقبض على السلسلة بيديه وراح يعالجها في بأس شديد حتى قصمها وقطعها ونجا انس وألقى البراء ومن معه نظرة على كفيه فلم يجدوهما مكانهما! لقد ذهب كل ما فيهما من لحم، وبقي هيكلهما العظمي مسمّرا محترقا! وقضى البطل فترة أخرى في علاج بطيء حتى يرى أما آن لعاشق الموت أن يبلغ غايته؟ بلى آن!

وها هي ذي موقعة تستر تجيء ليلاقي المسلمون فيها جيوش فارس ولتكون للبراء عيدا أي عيد.. احتشد أهل الأهواز، والفرس في جيش كثيف ليناجزوا المسلمين.. وكتب امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص بالكوفة ليرسل الى الأهواز جيشا، وكتب الى ابي موسى الأشعري بالبصرة ليرسل الى الأهواز جيشا، قائلا له في رسالته: «اجعل امير الجند سهيل بن عدي، وليكن معه البراء بن مالك».

والتقى القادمون من الكوفة بالقادمين من البصرة ليواجهوا جيش الأهواز وجيش الفرس في معركة ضارية.

كان الاخوان العظيمان بين الجنود المؤمنين.. انس بن مالك، والبراء بن مالك.. وبدأت الحرب بالمبارزة، فصرع البراء وحده مئة مبارز من الفرس ثم التحمت الجيوش، وراح القتلى يتساقطون من الفريقين كليهما في كثرة كاثرة.. واقترب بعض الصحابة من البراء، والقتال دائر، ونادوه قائلين: «اتذكر يا براء قول الرسول عنك: ربّ اشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو اقسم على الله لأبرّه، منهم البراء بن مالك؟

يا براء اقسم على ربك، ليهزمهم وينصرنا».. ورفع البراء ذراعيه الى السماء ضارعا داعيا: «اللهم امنحنا أكتافهم.. اللهم اهزمهم.. وانصرنا عليهم.. والحقني اليوم بنبيك»..القى على جبين أخيه أنس الذي كان يقاتل قريبا منه.. نظرة طويلة، كأنه يودّعه..

وانقذف المسلمون في استبسال لم تألفه الدنيا من سواهم.. وتصروا نصرا مبينا.

ووسط شهداء المعركة، كان هناك البراء تعلو وجهه ابتسامة هانئة كضوء الفجر.. وتقبض يمناه على حفنة من تراب مضمّخة بدمه الطهور..

لقد بلغ المسافر داره.. وأنهى مع اخوانه الشهداء رحلة عمر جليل وعظيم، ونودوا: «أن تلكم الجنة، أورثتموها بما كنتم تعملون».

همسات إيمانية

لا تعص الله تعالى.. إلاّ بنعمة هي ليست منه سبحانه.. وأي نعمة ليست منه سبحانه وتعالى.. !!

إذا اقترفت الذنوب وتابع الله عليك النعم فاعلم بأنّ هذا إمهال وليس إهمالاً من الله سبحانه.. واستعذ بالله من أن يكون هذا استدراجا.

أصلح سريرتك يتكفل الله بعلانيتك.

– لا يغب عن بالك أن «من عفا وأصلح فأجره على الله».

– بع دنياك بآخرتك.. تربح الدنيا والآخرة، ولا تبع الآخرة بالدنيا.. فتخسر الآخرة والدنيا.

– قلل من الشهوات.. تقنع بما عندك.

– أقلل من الذنوب.. يسهل عليك الموت وتشتاق للقاء الله تعالى.

– إياك وما تختاره النفس إلاّ أن يكون شرع الله تعالى معها.

– كن دوما لنفسك لوّاماً معاتباً.. ولا تسلمها لهواها.

– إذا كنت على شهرة.. فانت على خطر عظيم.

– لا تبارز الله سبحانه بمعصية.. ولا تكن لله خصيما.

همسات في هوى النفوس

من رحمة الله تعالى.. انه يعطي الدنيا من يُحبّ ويبغض ولا يعطي الآخرة إلاّ من يحب.

– اجعل مالك وما تملك لخدمة دينك، ولا تجعل دينك خادما لمالك.

– احذر أن تكون من الذين يأكلون الدنيا بالدين أي أن تفعل أو تقول شيئا عن الدين لتحصل على شيء من الدنيا تتبوأه.. والعياذ بالله.

– لايكن عزّك بالدينار ولا بالمال بل بالله سبحانه وبرسوله والمؤمنين.

– كن غيورا لله تعالى وفي الدين إذا انتهكت المحارم لاقدر الله إذا اعتدي على المسلمين وإذا عُصي الله في ارضه. ولا تكن غيورا لعصبيتك الحيوانية وتبعا لهواك.

حولك قوم من أهل الجاد والمسؤولية من لو أطعتهم عصيت الله ولو عصيتهم أطعت الله

فإن اتقيت الله عز وجل عصمك من فلان وان يعصمك فلان من الله إن لم تتقه

همسات في الإخلاص

– إذا وقفت على المقابر فتذكر أن فيها الشاب والهرم.. والغني والفقير فاين خدامهم؟ أين حجابهم؟ أين حاشيتهم أين القصور من تلك القبور؟

– تذكر انه لم يبق لك أب حي.. بدءاً بسيدنا آدم عليه السلام وإنت لاحق به.

– لا تقل: غدا غدا.. فلعلك لا تدرك غداً ولا تدري متى إلى الله تصير.

– قف على المقابر يوماً وعد الموتى كيف يدخلون ولا يخرجون.. وتأمل فيمن فارق الأحباب وما يحب فراقهم ومن سكن التراب ولا يحب سكناه.

– لا تتم من غير وصية وإن كنت على صحة من جسمك.

– تذكر دوماً أن الموت ايضاً عليك كُتب وأن من تشيعه اليوم غداً تلحق به وكلنا إلى الله راجعون.

– تذكر أنه لابد لك من قرين يُدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت وهو عملك وليس أمامك إلا جنة أو نار.

– تأكد أن كل يوم يمضي ينقص من عمرك يوماً فإذا جف القلم لا ينفع الندم..

صورة وآية

وهل يبكي النبات ؟

نعم هناك نبات يبكي! والمتأمل في نبات الارض يجد الكثير من العجب في عظيم صنع الله تعالى ويدرك عظمة هذا الخالق سبحانه التي تجلت في كل شيء، الصورة التي بين ايدينا لورقة احد النباتات ويسمى كوشوكة بنيامين (Ficus benjamina) وهي شجرة يطلق عليها أحيانا اسم التين الباكي زودها الله جل وعلا بجهاز خاص للبكاء في اوراقها!

وقد اكتشف العلماء ان هذا النبات دائم البكاء عن طريق اوراقه التي تفرز مادة دمعية عبر قنوات خاصة، ويعجب العلماء من تصرف هذا النبات، ولاتزال هناك الكثير من الاسئلة الحائرة لديهم لم يتوصلوا لاجاباتها، ولان لم يعرفوا الحكمة من بكاء هذا النبات ؟ إنها آية من آيات الله في النبات، اليس هو القائل سبحانه في كتابه المجيد: «وانه هو أضحك وأبكى»؟ وهو القائل ايضا: «وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» فسبحان الله الذي جعل في كل شيء له آية تدل على انه واحد احد.

من تحدث حيث لا يحسن الكلام كان عرضة للخطأ والزلل

أخلاق المسلم.. حفظ اللسان عن قبيح الكلام

ذات يوم جلس الرسول –صلى الله عليه وسلم– مع أصحابه، فجاء رجل وشتم أبابكر الصديق –رضي الله عنه– وآذاه، فسكت أبوبكر ولم يرد عليه، فشتمه الرجل مرة ثانية، فسكت أبوبكر، فشتمه مرة ثالثة فرد عليه أبوبكر، فقام –صلى الله عليه وسلم– من المجلس وتركهم، فقام خلفه أبوبكر يسأله: هل غضبت علي يا رسول الله فقمت؟ فقال الله –صلى الله عليه وسلم–: «نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك، فلما انتصرت «أي رددت عليه» وقع الشيطان «أي: حضر»، فلم أكن لأجلس اذ وقع الشيطان» [أبو داود].

ما هو حفظ اللسان؟

المقصود بحفظ اللسان، هو ألا يتحدث الانسان الا بخير، ويبتعد عن قبيح الكلام، وعن الغيبة والنميمة والفحش، وغير ذلك.

والانسان مسؤول عن كل لفظ يخرج من فمه؛ حيث يسجله الله ويحاسبه عليه، يقول الله تعالى: «ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد» [ق: 18].

وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «اذا أصبح ابن آدم فان الأعضاء كلها تكفر اللسان «تذل له وتخضع» تقول: اتق الله فينا، فانما نحن بك، فان استقمت استقمنا، وان اعوججت اعوججنا» [الترمذي]. وقال الله –صلى الله عليه وسلم–: «لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» [أحمد]، وقال ابن مسعود: والذي لا اله غيره، ما على ظهر الأرض شيء أحوج الى طول سجن من لسان.

ضوابط الكلام:

من أراد أن يسلم من سوءات اللسان فلا بد له من الأمور التالية:

لا يتكلم الا لينفع بكلامه نفسه أو غيره، او ليدفع ضرًا عنه أو عن غيره، أن يتخير الوقت المناسب للكلام، وكما قيل: لكل مقام مقال. ومن تحدث حيث لا يحسن الكلام كان عرضة للخطأ والزلل، ومن صمت حيث لا يُجدي الصمت استثقل الناس الجلوس اليه.

أن يقتصر من الكلام على ما يحقق الغاية أو الهدف، وحسبما يحتاج اليه الموقف، ومن لم يترتب على كلامه جلب نفع أو دفع ضر فلا خير في كلامه، ومن لم يقتصر من الكلام على قدر الحاجة، كان تطويله مملا، فالكلام الجيد وسط بين تقصير مخل وتطويل ممل.

وقيل: اقتصر من الكلام "على ما يقيم" حجتك ويبلغ حاجتك، واياك وفضوله (الزيادة فيه)، فانه يزلّ القدم، ويورث الندم.

أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به، قال الشاعر:

وَزِنِ الكلام اذا نطقتَ، فانما
يبدي عُيوبَ ذوي العيوب المنطقُ

ولابد للانسان من تخير كلامه وألفاظه، فكلامه عنوان على عقله وأدبه، وكما قيل: يستدل على عقل الرجل بكلامه، وعلى اصله بفعله.

عدم المغالاة في المدح، وعدم الاسراف في الذم؛ لأن المغالاة في المدح نوع من التملق والرياء، والاسراف في الذم نوع من التشفي والانتقام. والمؤمن أكرم على الله وعلى نفسه من أن يوصف بشيء من هذا؛ لأن التمادي في المدح يؤدي بالمرء الى الافتراء والكذب.

الا يرضي الناس بما يجلب عليه سخط الله. قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «من أرضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤونة الناس» [الترمذي].

الا يتمادى في اطلاق وعود لا يقدر على الوفاء بها، او وعيد يعجز عن تنفيذه.

يقول تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» [الصف: 2-3].

أن يستعمل الألفاظ السهلة التي تؤدي المعنى بوضوح، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «ان من أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وان أبغضكم الي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرارون «كثيرو الكلام». والمتشدّقون «الذين يتطاولون على الناس في الكلام» والمتفيهقون». قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: (المتكبرون) [الترمذي].

الا يتكلم بفحش أو بذاءة أو قبح، ولا ينطق الا بخير، ولا يستمع الى بذيء، ولا يصغي الى متفحش. وقيل: اخزن لسانك الا عن حق تنصره، أو باطل تدحره، أو خير تنشره، أو نعمة تذكرها.

أن يشغل الانسان لسانه دائما بذكر الله ولا يخرج منه الا الكلام الطيب. روي ان النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وان أبعد الناس عن الله القلبُ القاسي» [الترمذي].

فضل حفظ اللسان

سئل النبي –صلى الله عليه وسلم–: أي الإسلام أفضل؟ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «من سلم المسلمون من لسانه ويده» [متفق عليه]. وقال عقبة بن عامر: يا رسول الله، ما النجاة؟ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» [الترمذي].

ومن صفات المؤمنين أنهم يحفظون لسانهم من الخوض في أعراض الناس، ويبتعدون عن اللغو في الكلام، قال رسول الله –عز وجل–: «واذا مروا باللغو مروا كراما» [الفرقان: 72]. وقال الله –صلى الله عليه وسلم–: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» [متفق عليه].

الغيبة

الغيبة هي أخطر أمراض اللسان، وقد نهانا الله –سبحانه– عن الغيبة، وشبّه من يغتاب أخاه، ويذكره بما يكره، ويتحدث عن عيوبه في غيابه، كمن يأكل لحم أخيه الميت، فقال تعالى: «ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم» [الحجرات: 12].

وحذّر النبي –صلى الله عليه وسلم– صحابته من الغيبة، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «ذكرك أخاك بما يكره». فقال أحد الصحابة: أرأيت ان كان في أخي ما أقول؟ فقال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: «ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وان لم يكن فيه فقد بهته» [مسلم].

والغيبة تؤدي الى تقطيع روابط الألفة والمحبة بين الناس، وهي تزرع بين الناس الحقد والضغائن والكره، وهي تدل على خبث من يقولها وامتلاء نفسه بالحسد والظلم، وقد شبّه الإمام علي –رضي الله عنه– أصحاب الغيبة بأنهم أشرار كالذئاب، فقال: الأشرار يتبعون مساوئ الناس، ويتركون محاسنهم كما يتبع الذئاب المواضع الفاسدة.

والذي يغتاب الناس يكون مكروهًا منبوذًا منهم، فلا يصادقه أحد ولا يشاركه أحد في أي أمر. قال أحد الحكماء: اذا رأيت من يغتاب الناس فأبذل جهدك ألا يعرفك ولا تعرفه.

والغيبة تفسد على المسلم سائر عباداته، فمن صام واغتاب الناس ضاع ثواب صومه، وكذلك بقية العبادات، ويروى أن امرأتين صامتا على عهد النبي –صلى الله عليه وسلم–، وكانتا تغتابان الناس، فعلم النبي –صلى الله عليه وسلم– ذلك، فقال عنهما: «صامتا عما أحل الله، وافطرتا على ما حرم الله» [أحمد]، أي أنهما صامتا عن الطعام والشراب، وأخذتا تتحدثان وتخوضان في أعراض الناس فلم يقبل الله صيامهما.

والغيبة عذابها شديد، وعقابها أليم يوم القيامة، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (لما عُرج بي (أي في رحلة الإسراء) مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون (يجرحون) وجوههم وصدورهم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم) [أبوداود].

وهناك أمور أباح الإسلام فيها للمسلم أن يذكر عيوب الآخرين، ولا يعد هذا من قبيل الغيبة التي يعاقب عليها المرء، وهذه الأمور هي:

التظلم الى القاضي أو الحاكم: فيجوز للمظلوم أن يشكو الى القاضي أن غيره قد ظلمه.

تغيير المنكر ورد العاصي الى الرشد والصواب، فيجوز للمسلم أن يقول: فلان يفعل كذا وكذا من المنكر حتى يزدجر ويرجع عما يفعله، طالما أنه لا يستجيب لنصح ولا ينفع معه ستر، ولكن يشترط أن يكون القصد هو تغيير المنكر وليس التشهير بالعاصي.

تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم: فيجوز للمسلم أن ينصح أخاه بالابتعاد عن أحد الأشخاص لما فيه من صفات ذميمة تجلب الشر والخسران.

المجاهرة بالفسق والبدع: فاذا كان من الناس مَن يفعل الذنوب علانية؛ كأن يشرب الخمر، أو يظلم الناس، فانه يجوز ذكر عيوبه؛ حتى يرتدع ويرجع الى الله.

التعريف: فاذا كان بعض الناس لا يعرف الا بلقب يسمى به بين الناس كأن تقول: فلان الأعمش أو الأحول، فان ذلك يجوز اذا كان الغرض معرفة الانسان، ولا يجوز اذا كان الغرض سبه وتنقيصه.

وكما قال الحسن: لا غيبة الا لثلاثة: فاسق مجاهر بالفسق، وذي بدعة، وامام جائر.